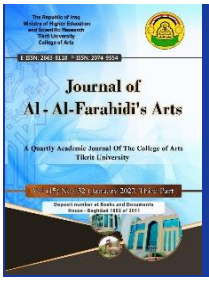

Tikrit University | جامعة تكريت

مجلة آداب الفراهيدي

Journal of Al-Farahidi's Arts

الاستلاب في أدب الرسائل: رسائل السياب أنموذجاً

Alienation in The Literature of Letters - Al-Sayyab's Letters As An Example

م. د. محمد مطلك صالح

المديرية العامة لتربية صلاح الدين، وزارة التربية

صلاح الدين، العراق

Lecturer. Dr. Mohammed Mutlag Salih

General Directorate of Salahuddin Education, The Ministry of Education

Salahuddin, Iraq

SUBMISSION التقديم	ACCEPTED القبول	E-PUBLISHED النشر الإلكتروني
03/05/2023	25/06/2023	10/06/2024

P-ISSN: 2074-9554 | E-ISSN: 8118-2663 https://doi.org/10.51990/jaa.16.57.1.6 Vol (16) No (57) June (2024) P (60-69)

الملخص

الاستلاب ظاهرة اتخذت أشكالاً وافصاحات وتمظهرات لا حصر لها في رسائل السياب، وحاول غير واحد ممن عنوا بتعريف الاستلاب ووجدوا أنه لصيق في افصاح الفرد الاستلابي عن عزلة الذات بأنواعها كلها عن المحيط والوجود الآخر وعدم الانسجام، إذ يمثل الاستلاب أزمة تواجه الإنسان بكونه نتيجة حتمية تقوض حريته، لذا حاولت دراسة رسائل السياب والبحث عن ظاهرة الاستلاب فيها، فكان العنوان(الاستلاب في أدب الرسائل، رسائل السياب أنموذجاً) معتمداً على بعض المصادر منها، الأعمال الشعرية الكاملة لبدر شاكر السياب، والتحليل النفسي لأدب المراسلات، والرسائل الأدبية، تكوّن البحث من أربعة مباحث جاء المبحث الأول بعنوان: الاستلاب النفسي وجاء المبحث الثاني بعنوان: الاستلاب المعرفي وجاء المبحث الثالث بعنوان: الاستلاب المكاني، أما المبحث الرابع: الاستلاب الاجتماعي، وختم البحث بأهم النتائج التي توصلنا إليها في إطار البحث وتحليل الرسائل.

الكلمات المفتاحية

الاستلاب المعرفي، الاستلاب المكاني، الاستلاب النفسي، الرسائل، السياب

ABSTRACT

Alienation is a phenomenon that has taken countless forms, disclosures, and manifestations in Al-Sayyab's letters. More than one person who was concerned with defining alienation tried to define it and found that it is relevant in the individual's self-isolation of all kinds from the environment, other existence, and lack of harmony. Alienation represents a crisis facing the human being, as it is an inevitable result that undermines his freedom. Therefore, I tried to study Al-Sayyab's letters and search for the phenomenon of alienation in them. The title was (Al-Sayyab in the literature of letters, Al-Sayyab's letters as a model), based on some sources, including the complete poetic works of Badr Shaker Al-Sayyab, the psychological analysis of correspondence literature, and literary letters. The research consisted of four sections. The first section was titled: Psychological Alienation, the second section was titled: Cognitive Alienation, the third section was titled: Spatial Alienation, and the fourth section was: Social Alienation. The research concluded with the most important results we reached within the framework of research and analysis of the messages.

KEYWORDS

Cognitive Alienation, Spatial Alienation, Psychological Alienation, Letters, Al-Sayyab

Copyright and License: This is an Open-Access Article distributed under A Creative Commons Attribution 4.0 License, which allows free use, distribution, and reproduction in any medium provided the original work is properly cited.

التمهيد:

مفهوم الاستلاب:

الاستلاب لغة: من الفعل سلب، وسلبت الشيء سلباً، والاستلاب الاختلاس والسلّاب: وأخذ السلب وهي ثياب الآثم السود [١]. سلب: سَلَبَه الشيءَ يَسْلُبُه سَلْباً وسَلَباً، واسْتَلَبَه إياه [٢]، ويأتي استعمال الاستلاب أوساط الأدباء وهو مفارقة المحيط، تبديل الإقامة، السفر الطويل والعيش خارج الوطن، الهجرة بمعنى السفر والإقامة في مكان آخر ومغادرة موطن الولادة الدائمي.

وقد يأتي الاستلاب من الاغتراب، فمصطلح الاغتراب متعدد الدلالة والمضامين، وقد تكون العزلة النفسية ليست سمة من سمات الاغترابية الإيجابية، إذا كانت حالة مُرضية. ويرادف البعض بين الاستلاب والاغتراب ولكل وجهة نظر لها ما يبررها.

الاستلاب في رسائل السياب:

كشفت رسائل بدر شاكر السياب كثيرا من الأمور التي تخص طبيعة العلاقة التي جمعت بينه وبين بعض أصدقائه، وتضمنت الكثير من الجوانب الخفية التي عاشها السياب ويعاني بها من الاستلاب، وتظهر العاطفة الملتهبة والتشوق. فالاستلاب ناتج من صنع الخيبة والعجز والشعور بالضياع والفقد، إذ تعرّض السياب لاستلابات عدة أثرت به وبنتاجه الأدبي شعراً ونثراً، فالاستلاب يسيطر على العقول ولو تمحصنا تعريف الاستلاب بأنه سيطرة فكر ما على البنى العقلية لإنسان لذاته، وهو الكبت القسري واغتراب الإنسان عن ذاته ومن أنواع الاستلاب:

الاستلاب النفسي:

إنَّ بواعث ومسببات الاستلاب تجعل الإنسان تائهاً متمزقاً يعاني من الكبت القسري ووقوعه في موقع الاسر وتقييد أفكاره؛ فالاستلاب النفسي انفصال المنتج عمّا أنتجه، وعيشه حياة خاضعة للاستعباد بفعل مجموعة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية. ولا يستطيع التواصل مع مجتمعه. ومن أمثلة الاستلاب النفسي في رسائل السياب:

إذ كتب في تأريخ (١٩٤٤/٧/٢٦) رسالة إلى صديقه خالد يقول فيها: أكتب إليك رسالتي هذه في الليل على ضوء مصباح زيتي شاحب يلقي على الغرفة من حولي كآبة خفية خريفية السمات. مسائية الشيات. وقد جثم على صدري هم ثقيل.. أعمق من الليل، غابت نجومه وراء السحاب الهزيل وتملّكني شعور مبهم بالغربة واليتم.. الآن.. الآن.. أدركت أن الأخطل الصغير كان في عذر حين قال: (يا حبيبتي ... بأبي أنت وأمي) [٣].

ضمنت رسالة السياب الكثير من المعاني ولا سيما الاستلاب، وهو يعاني من كآبة خريفية وقد جثم على صدره هم ثقيل يصدر من اعماق الليل، وهذا الليل غابت نجومه وراء السحب الهزيل، السائر في طريق الأشواك الدامي، ويديه ملطختي بالجراح وهو يعاني شعور الغربة وشعور آخر وهو اليتم.. وهو يتلفظ يا حبيبتي.. بأبي وأمي) ويقارن نفسه بالأخطل الصغير بعدما كرر لفظة (الآن) وهذا الشعور بالغربة نابع من تعرّضه إلى اليتم وهو صغير، وفي آذار يكتب رسالة ثانية إلى خالد في آذار ١٩٤٦ وتضمنت هذه الرسالة قصيدة عنوانها (في يوم عابس) (فلا نجد كاتباً يحسن الشعر أخلى رسائله من شعره) [٤] وهذا مقطع منها:

ضاقت بي الدنيا وضقت بها كأني في رحيل
في وهدة قفراء بُحّ بجوّها صوت الدليل
رباه والعشرون عمري تسير إلى الذبول
سوداً مكفّنة الأهلة بالتنهد والعويل
ماذا جنيت من الزمان سوى الكآبة والنحول
وأعد أيّامي لأسلمها إلى الهمّ الثقيل
وأعيش محروم الفؤاد من الهوى عيش الذليل

لأصعد الآهات داميةً وأمُعن في عويلي

وحاول الناقد حسن توفيق في كتابه (شعر بدر شاكر السياب- دراسة فنية) أنْ يثبتَ أن الطبقة البرجوازية التي ينتمي إليها الشاعر السياب تتمثل بالطبقة الوسطى وهي طبقة بحكم طبيعتها تغلب على أفرادها التذبذب والتردد في مجالات الحياة. ويقول إن السياب نشأ منذ طفولته يتيماً واحساسه بمشاعر اليتم والفقد [٥]، إذ تحكمت بالسياب مجموعة من العوامل من ضمنها العوامل النفسية، أدت إلى شعوره بالغربة والاستلاب وهي عيشه يتيماً، إذ ماتت أمّه وهو في السادسة من عمره وزواج أبيه من امرأة أخرى، قاد هذا الشعور بالتضاد العاطفي وهو يعاني الخذلان لينعكس على حياته. فتبدل الحياة المعتادة وتغيير بالمحيط الذي يعيشه، والانفصال عن شيء والابتعاد عنه جعل السياب يعاني من الاستلاب الذاتي والاغتراب في مجتمعه وطبيعته وفي عمله وعلاقته بالآخرين. فموت أمّه عرّضه للاستلاب وحصول فجوة بين إنسان كان معيناً له، لتجعل السياب لا يستطيع أنْ يتخلصَ من الاستلاب لأنه **(قوة قاهرة للذات تفقد الإنسان جوهره فهي مؤثر خارجي لا يستطع الأنا/ الفرد أو الأنا/ الكل التخلص من سلطته)** [٦].

لتظل الخيبات تطارد السياب في حياته وهو أشبه بالمقيد، فكلما خرج من نكبة جاءت أخرى تضاف إلى النكبات المستورثة، فكانت الأقفال كفيلة ولم تتزحزح خيبتها حتى وضعت السياب مستلباً مكبلاً لم تدعه يخرج من العقبات فظل مهزوماً، إذ انتسب للحزب الشيوعي سنة ١٩٤٥ ولقد كلفته هذه التجربة كثيراً حتى ولّدت الظروف القاهرة التي تعرّض لها عقدة نفسية ارتبطت معه وأثرت على مسيرته الحياتية كافة، ولا سيّما مجاملاته الشخصية التي تتجاوز الحدود الموضوعية، ومنها الولاء السريع لمن يرتبط بهم حتى بالمراسلة ثم سرعة نفض يديه من تلك العلاقات، ومن ذلك الولاء والتحول السريع العدواني على من كان يعلن ولاءه لهم سابقاً.

وفي رسالة كتبها بتأريخ ١٩٤٦/٤/٢٠ يقول السياب لصديقه بعد أن أخبره كيف خذلته الفتاة التي أحبها التي أرسل إليها قصيدة (نشيد اللقاء) فأهملتها من دون جواب ليعلن لصديقه خالد بعبارات واضحة إن حزنه وكآبته هي شيء متأصل واحساسه بالموت يظل يلاحقه باستمرار، إذ يقول: **(أي خالد ... كم عاهدت نفسي في سكون الليل العميق أن أخفت نغمة اليأس في أشعاري وأمحو صورة الموت من أفكاري حتى لا تسمع الآذان ركزا من تلك ولا تبصر العيون خطّاً من هذه. لكنني واحسرتاه عدت بصفقة الخاسر وحظ الخائب وقد نذرت نفسي للألم والشقاء واليأس والفناء)** [٧] يضعنا السياب وهو يخاطب خالد ليسمعه (كم عاهدت نفسي) وأيّة معاهدة وهي تخفيف لغة اليأس ومحو صورة الموت من أفكاره، لكنه في النهاية يتحسر، هذه اللوحات والمشاهد المكثفة والتلميحات المنتخبة تنقل لنا مستوى الفقد والاستلاب.

ثم يقول: **(ما أجملَ من لامني على أنْ سميت مجموعة أشعاري "بالأزهار الذابلة". ليته كان معي ليرى أن كل الكون والأرض والسماء والتراب والصخر والهواء أزهار ذابلة.. ذابلة في عيني الشاحبتين ونفسي الخامدة)** [٨] يمكن قراءة الاستلاب وفداحته من رؤية الأشياء بعين السياب الذابلة ونفسه الخامدة، فرسم الصورة وعرضها تنتج شفرات غير متناهية من الخطاب، إذ تمارس دوراً فاعلاً في تعميق الاستلاب. ويصف السياب حلمه وهو يخاطب الشواف برسالة منها:

(ضباب شفيق ترقص فيه مقبرة القرية كأنها فوق جناح جريح. ينفضه الشوق إلى موضع خلف التلال.. ثم يركن الرقص إلى سكون كئيب.. يحتضنه الغبش الحزين. وهناك.. عند السدرة النائمة قبر مستوحد غريب.. رأيت أني راقد فيه تحت الحصى والتراب في ظلمة بلهاء. ما أسعفها لون من الألوان.. يكاد ثقل الثرى يخنقني، لكني من برجي أستشرف الدنيا. يدغدغها الربيع الباكر فأبصر الأوراق تنمو بطيئاً.. بطيئاً والبراعم تتثاءب.. كسلى.. عن الزهر الأبيض وعن الألوان لا تحصى فأهتف من أعماق اللحد البارد- رباه.. أفي الربيع النضير يطويني القبر) [٩]، تكشف الرسالة عمق الانتهاك والاستلاب من خلال الالفاظ (مقبرة القرية، جناح جريح، سكون كئيب، قبر مستوحد غريب، راقد تحت الحصى، ثقل الحصى يخنقني، يطويني القبر) إذ

يظهر السياب حبكة التأزم المطبق عليه من الألم ليهتف من أعماق اللحد وهو ينادي رباه، لتتعمق صورة الحياة المفتقدة وتحقيق البعد الاستلابي وهو في المكان المغلق (اللحد / المقبرة).

ومن الأمور النفسية المهمة التي كشفتها رسائل السياب وأظهرتها مراسلاته التي تشكل الوجه الآخر للعملة وهي الدوافع المازوشية، ففي رسالته إلى الدكتور صالح جواد طعمة، بتأريخ ١٩٤٧/٥/٧ تظهر مشاعره المازوشية المترسخة في نفس السياب على حقيقتها، إذ يقول: **(أكتب إليك و أنا في أشد حالات المرض و اقساها ولكنني أحس ان للوحشة وطأة أثقل من وطأة المرض، و أنا لا أحس للربيع وجوداً، لست من أهل الربيع..)** ثم يشير إلى مرضه الذي ذهبت فيه جهود الأطباء هباء فيخلص على نتيجة أشبه بالنبوة فكتب يقول: **(أصبحت أنتظر ما يأتي به الغد من جديد والداء يزداد عنفاً وشدة ولكنني مطمئن على شيء واحد- هو أنني لن أموت في القريب العاجل لأن في الموت راحة وقدر لي أن لا أرى راحة وأن أجتاز محناً كثيرة غير هذه المحنة)** [١٠]، يقول الدكتور حسين سرمك: في رسائل السياب الكثير من العقد السادو - مازوشية المركبة فهو لا يستطيع نظم الشعر في الاوقات التي لا يجد فيها عذاباً وألماً [١١]، إذ يقول لصديقه جبرا موضحاً: **(منذ أن جئت إلى البصرة بعد آخر لقاء لنا أصابني الجمود فلم أكتب بيتاً واحداً من الشعر)** [١٢].

ولكن على الرغم من كل ما تعرض له من نكسات لم يكن يرضى بالانزواء بالزوايا وأنْ يكون نسيا منسيا بل أخذ يعتلي أعلى المنابر، ولكن قبح شكله كان خنجرا في حياته؛ وسمع بما لا يقبل التغاضي، يقول السياب إنه خلق مريضاً من دون مرض ضعيف الجسم، هزيل البنية دميم الوجه [١٣].

الاستلاب المعرفي:

الاستلاب المعرفي خضوع الإنسان ومنعه من التفكير، وتظهر الرسائل حجم المعاناة التي يعاني منها السياب ومفادها الاحساس بالمرارة والألم بسبب مرضه ومحاولة التخلص من هذه الحالة، وتكمن أهمية الاستلاب المعرفي بـ **(بوصفه العتبة الأولى لأي استلاب يمكن أنْ يُخضعَ الذات فلا يمكن أنْ يكونَ هناك استلاب ديني أو اجتماعي من دون المرور بمرحلة الاستلاب المعرفي)** [١٤]، وازدادت هذه الحالة صعوبةً بسبب التجاذبات السياسية التي وضعت السياب في ظروف لا يحسد عليها مما أفضى به إلى البحث عن التخلص من هذا الوضع البائس، إذ كان يدرك استلابه، إذ تضمنت رسائله الكثير من المعاني الزاخرة التي نقل وعبر عن فقدانه عن ذلك. ومن أمثلة كتب في تأريخ ٣ /١٩٥٤/٧: **(أرسل لك طياً قصاصة من مجلة عر اقية لا تخجل أن تسمح لمشعوذ يتآكل قلبه بالحقد والضغينة، ويرى إلى أدبه الهزيل ويكشف زيفه أقلام نزيهة بأن يسب الأخيار من الناس ويتهمهم بأبشع التهم الباطلة.. أنه (....) جاء آخر الزمان ليصبح هو الوطني ونصبح نحن - أنت والأخرين كاظم جواد ومحي الدين إسماعيل - مأجورين وعملاء. فمرحي لسليل ...)** [١٥]، تظهر دلالات الاستلاب المعرفي في صور متعددة ومنها إحدى الشخصيات تحولت إلى شخصية تستلب الآخرين، وتعرض الآخرين إلى الصدمة على ما فعلته بهم تلك الشخصية.

وفي رسالة أخرى في تأريخ ١٩٥٤/٧/٣ يقول: **(الكتيب لم ينته حتى الآن لأن مدير المطبعة فرد من أفراد هذه العصابة المتآمرة على قيمنا الخيرة وأدبنا المخلص. أما القصيدة فقد حال دون أن أتمها إنني والاخوان مشغولون بمكافحة هذه الطغمة من المزيفين المغتربين)** [١٦]، تتأسس فكرة الاستلاب في مضمون الرسالة بأسلوب توثيقي وإن كان الراوي واحدا. وكان على العكس من ذلك فكتب في لندن أيام مرضه ستة واربعين يوما ما يقارب اربعين قصيدة كان أكثرها عن الموت، وعندما عاد إلى البصرة كتب إلى سيمون جارجي في ١٩٦٣/١/٣: **(لم أكتب ولا بيتاً من الشعر بعد القصيدتين اللتين كتبتهما في باريس، لعل الجو العائلي الذي أعيش فيه هو السبب في جفاف ينبوع الشعر)** [١٧]، لم يكتب السياب بسبب المرض والوحدة والرفض ومواجهة الواقع وفكره الشيوعي غير أن انخراطه في صفوف ذلك الحزب لم يزده إلا غربة ومعاناة. كانت المرحلة الأخيرة من حياة بدر فقيرة محزنة، لقد واجه قدره وأصبح يدافع عن مجرد بقائه، فالموت لم يعد رجولة ولا حباً ولا فداء بل أصبح عبثاً، إذ خيم شبح الموت عليه وتضاءل كل شيء في عينه والألم ينهش من جسمه ليصرخ

محتجاً مخنوقاً :(أهكذا السنون تذهب أهكذا الحياة تنضب) [١٨]، إذ فقدت الذات الواعية مقدرتها على الإبداع ليتحقق الاستلاب المعرفي.

الاستلاب المكاني:

الاستلاب هو ابتعاد الإنسان عن الطبيعة والمجتمع وأهله وناسه وحتى ذاته، وهو **(موقف اغترابي من الوجود في الزمان والمكان وبكافة جوانبه)** [١٩]، ويمكن قراءة الاستلاب والاستدلال عليه من خلال الشخصية وتحركها وتمازجها مع المكان فبالوصف والحوار تتكشف ظاهرة الاستلاب والشعور به، ولكن بدراً فجع بعد تخرجه بموت جدته في ١٩٤٢/٩/٩، وأصبحت علاقته مع جيكور وبقيع مع التراب والقبور والنخيل الديوان [٢٠]، ويعد المكان صورة الاستقرار والتحصّن من غوائل الزمن، إذ **(يمثل المكان في الرسائل السردية أحد الأركان الاساسية في مضمون الحكاية)** [٢١]، إذ يهتم السياب بالحديث عن المكان باعتباره مصدر كتابة الرسالة.

وكتب إلى سيمون رسالة أخرى في ١٩٦٣/٤/٢٠ **(قل نشاطي الشعري منذ وصولي إلى البيت)** [٢٢]، وفي ١٩٦٣/٥/٢٨ كتب إلى توفيق صايغ من البصرة قائلاً: **(لم أكتب منذ مجيئي إلى العراق سوى قصائد كان النشاط الأكبر في انكلترا)** [٢٣]، لقد كتب السياب في رسالة إلى يوسف الخال بتأريخ ١٩٦١/١٢/١٥: **(و افقتني البصرة أكثر من بغداد على الرغم من الركود العاطفي الذي أصاب عواطفي فيها ولكنه ركود أنا متأكد من أنه سيزول مع الربيع أو بعد زيارة واحدة لجيكور التي أصبحت قرية)** [٢٤]، وفي رسالة إلى عبد الكريم الناعم بتأريخ ٧/٣/ ١٩٦١ كتب: **(استلمت رسالتك الطاهرة التي تبعتني من بغداد إلى البصرة.. بلدتي التي انتقلت إليها لأكون قريباً من ملاعب الطفولة ومسارح الصبا في جيكور)** [٢٥].

ويقول: **(إنك تعرف جيكور إذا كنت قرأت أنشودة المطر. أنها قريتي التي تغنيت بها في كثير من قصائد الديوان وسأغنى بها في قصائد سواها)** [٢٦]، يعاني السياب من الاستلاب الذي ولّدته مجموعة ظروف رافقت السياب منذ طفولته حتى وفاته، فيرى قريته جيكور الأم والمأوى وهي رمز العودة إلى الماضي وملاعب الطفولة.

الاستلاب الاجتماعي:

عانى السياب من الاستلاب منذ طفولته، ولديه رغبة شديدة في تجاوز المؤثرات المحيطة به، فتجده في دأب متواصل من أجل التخلص منه، ولكن **(العجز الذي تعيشه الأنا وعظم الذات وارتكازها على دو افع وجود قويّة جعلها تضع نفسها مقابلاً للآخر المعادي)** [٢٧]، فحاول تطويع مسببات الاستلاب التي يعانيها، إذ توفيت أمه وتزوج أبوه، فتركت هذه الأحداث الأثر في نفسه، (يتعاضد الشعر والنثر في دائرة الترسل يعطي الأثر في السؤال) [٢٨]، فقد كتب قصيدة بعنوان (خيالك) منها:

خيالك من أهلي الأقربين أبرُّوإن كان لا يعقل
أبي منه قد جردتني النساء وأمي طواها الردى المعجل
وما لي من الدهر إلّا رضاك فرحماك فالدهر لا يعدل [٢٩]

تُظهر الأبيات معاناة السياب من استلابه الاجتماعي وهو فقدان أهله، وتضاف نكبة أخرى في حياة بدر، إذ توفيت جدته أيضاً التي كانت تحل محل أمه فصدم بدر بذلك وكتب أيضاً قصيدة بعنوان (رثاء) جدتي (إذ يعطي التوظيف الشعري دوره وأثره في المتلقي) [٣٠] وهذا بيت منها:

جدتي من أبث بعدك شكواي طواني الأسى وقل معيني [٣١]

تظهر الأبيات الحالة التي يمر السياب الحالة الاستلابية النابعة من معاناة افتقاده لأمه وجدته وابتعاد أبيه عنه التي أثرت عليه ولا يمكن الفكاك عنها، ومع ذلك كان السياب المبدع قادراً على تحويل المواقف الاستلابية المحيطة به إلى حالات إيجابية انتجت مجموعة من القصائد الرائعة، فالمبدع يعنى بصنع الحياة وتبديلها بكيفية مغايرة.

وفي رسائل السياب الكثير من مظاهر عقدته السادو - مازوشيه المركبة، وقد كان الشعور بالذنب بالنسبة للسياب مضاعفاً؛ لأنه يفوق ما يحصل في العقدة الأوديبية بسبب العلاقة السلبية بين الولد وأحد

أطراف المثلث الأوديبي وهو الأب في الغالب. ويتبين ذلك في رسالته إلى الدكتور سهيل إدريس في (١٩٥٨/٥/٧) يقول: **(مرَّعام بأكمله ـ لم أكتب فيه سوى قصيدتين، أنه العقم يتسرب إلى نفسي فإذا كتبت فعن هذا العقم أكتب ...)** [٣٢]، يمر السياب بلحظات تتمثل في الضغط والسلب القاهر للذات.

ويبدو إن السياب لم يكن سعيداً بزواجه كما أوضح مخالطوه إذ قال: **(ستدرك مع الزمن كيف تفترس المشاكل والمشاغل ...)** [٣٣]، وكانت شكواه من الزواج والعائلة، إذ كتب إلى أدونيس في ١٩٦٤/٩/١٧ ينقل الكثير عن سلوك زوجته تجاهه بينما كان يرقد في المستشفى في بيروت، إذ يقول: **(ساقتني زوجتي كما يسوق الراعي الأغنام أمامه إلى سلم الطائرة ثم العراق فيا لي من تعيس بزواج وبلقاء قصير كهذا وبداء خبيث كهذا)** [٣٤]، تظهر شخصية السياب المستلبة بفعل الضغط العائلي ولا سيّما الزوجة لتتحول إلى زوجة مهيمنة تمارس سلطتها على الزوج السياب. وللسياب موقف عن المرأة بشكل عام ولربما كان يبالغ في حبه للمرأة.

ولكن السياب المبدع حتى وأن بدى الاستلاب لديه فهو يختلف عن الإنسان العادي، فموهبته غير العادية ووعيه المتقد وعوامل البيئة وحالته النفسية يستطيع أن يحولها إلى حالة إيجابية.

ظلَّ السياب يواجه التحديات المرضية بصورة مستمرة خلال سنوات حياته وهو يعاني مستلباً، ومعظمها أشكال استلابية متنوعة، تتميز بالسوداوية واهتزاز الثقة بالنفس بوجود الآخر، لتبقى تلازم السياب ولا خلاص منها حتى وفاته. ومن الحالات الاستلابية، إذ كتب إلى أدونيس بعد عودته من بيروت أنه لا يزال مريضاً ولن ينفع معه أي دواء بل تتدهور صحته من سيء إلى أسوأ، فكتب في تأريخ ١٩٦٢/١٠/١٣ يقول فيها: **(أما أنا فما زالت حالتي متردية. سقطت أخيراً فأنفطر العظم في رجلي و انفسخت من موضعين)** [٣٥]، في هذا المقطع يصف السياب ذاته وإظهار مدى ما لحق به من آثار مرضية تعدت ما يتحمله الإنسان القوي، فما بالك بإنسان عليل نحيف مثل السياب؟ وكتب إلى يوسف الخال في تأريخ ١٩٦٢/١١/١٠ **يقول: (صحتي في أتعس حال. رجلاي أحسن مما كانتا. لكن العمود الفقري هو نقطة الضعف)** [٣٦].

وكتب إلى سيمون جارجي أواخر ١٩٦٢ يقول: **(أما أنا فقد ذهبت ضحية الأطباء اللبنانيين الذين كسروا ظهري فأصبحت عاجزاً عن المشي دون عصا وحتى مع العصا فأن المشي بطيء مضطرب ... أهذا هو شبابي)** [٣٧]، يتحدث السياب عن ذاته بضمير المتكلم المفرد وفي هذه الحالة يكون أكثر واقعية في نقل وإظهار ما تعرّض له من فقد واستلاب، فالمتكلم في هذا النوع من الرسائل لا يمثل شخصية الكاتب بقدر ما يمثل ذاته المستلبة.

وكتب إلى جبرا: **(إسمع هذا النذر- لئن تحسنت صحتي وجئت إلى بغداد لنسكرن سكرة شاعرية عظيمة)** [٣٨]، تظهر شخصية السياب المستلبة وهو يلجأ إلى النذور ليتبين مساحة السلب والانتهاك.

وفي رسالة إلى عاصم الجندي في تأريخ ١٩٦٣/٩/١١ يقول: **(لم يستطع الطب البريطاني والطب الفرنسي أن يشفي علتي فلجأت ـ آخر الأمر ـ إلى الطب الشعبي وأخذت بقول نبينا الكريم ـ آخر العلاج الكي)** [٣٩]، يوجه السياب رسالته إلى صديقه يشكو له وهو يصف حاله متحدثاً عن النفس في سرد الأحوال وهو في حالة استلابية مرضية لا شفاء منها سوى بالكي. إذ يقول: **(لقد جربت الكي بأسياخ الحديد المحماة على يد طبيب بدوي)** [٤٠] ويقول: **(وكان حلمي في هذه الحياة أن يكون لي بيت أجد فيه الراحة والطمأنينة وكنت أشعر أنني لن أعيش طويلاً لهذا وجب على القارئ أن يربط بين رئة تتمزق وكثير من قصائد الديوان)** [٤١].

ومن رسالة كتبها إلى صديقه صالح جواد الطعمة عام ١٩٤٨ قال فيها **(مضى أكثر من أسبوع منذ أن خططت السطور الأولى من هذه الرسالة وها أنذا أعود إلى الكتابة مرة ثانية بعد فترة من المرض الملح والشفاء الكاذب، وقد انتكست الآن بعد أن ذهبت جهود الأطباء هباء معها ما أملك من دراهم قليلة وأصبحت أنتظر ما يأتي به الغد من جديد. والداء يزداد عنفاً وشدة ولكنني مطمئن إلى شيء واحد هو أنني لن أموت في القريب العاجل لأن الموت راحة وقد قُدر لي إلا أرى وأن أجتاز محناً كثيرة غير هذه المحنة)** [٤٢]، يمضي

السياب يتحدث عن نفسه وهو يدّون أحداث ذات صلة به ويجد تبريراً يتوّج به حياته ويعبر عمّا ينتظره من محن. وكلما ازدادت حالة السياب مرضاً وألما وزاد عمق اضطراره ومعاناته من الاستلاب كان أكثر عمقاً وأصالة في الابداع، فمعاناة المبدع من الاستلاب تكون مبعثا للشعور بالغربة في المكان وعوامل المحيط في المجتمع. فأولى مراحل الاستلاب هي شعور الإنسان بالفقد والشعور بالابتعاد عن محيطه.

لقد كتب السياب في رسالة إلى يوسف الخال في تأريخ ١٩٦١/١٢/١٥ يقول: **(و افقتني البصرة أكثر من بغداد على الرغم من الركود العاطفي الذي أصاب عواطفي فيها ولكنه ركود أنا متأكد من أنه سيزول مع الربيع أو بعد زيارة واحدة لجيكور التي أصبحت قربة)** [٤٣]، إذ تمثل المدينة الأم الدخيلة عند السياب في شعوره وهي الأم الخاطفة التي يقرن فعلها بما تفعله المومسات.

ويضيف الناقد قيس كاظم الجنابي **(ينبع من فكرة أخلاقية تعبر عن موقف الشاعر يرى في البغاء دنساً و انحلالاً في الأخلاق مما يكشف عن جذوره الريفية التي تدفعه للبحث عن مدينة فاضلة)** [٤٤].

وتباينت الآراء بموقف السياب الأخلاقي فيقول البعض كان السياب مولعاً بالذهاب إلى أماكن خاصة بالبغاء، يقول الدكتور عيسى بلاطة في كتابه عن السياب، إذ شاهد خروج السياب من إحدى دور البغاء وكان الوقت متأخراً من الليل حيث جلس السياب على قارعة الطريق وقد اشترى بضعة أرغفة من حانوت قريب، وأخذ يقطع الخبز إلى قطع صغيرة وأطعم الكلاب السائبة التي كانت تحوم حوله، ولما اقترب صديقه رآه يبكي ورائحة الخمر تفوح منه [٤٥]. إن معاناة السياب من الاستلاب والاضطهاد واحساسه بالغبن والحرمان ممن حوله جعله يشعر بالاستهداف، إذ يقول هيدجر: **(الوجود الحقيقي وجود يقرر ذاته ويستمد شكله و اتجاهه من خلال قرارات وخيارات تنتمي إلى ذات المرء وتتخذ وعي كامل الأوضاع السياسية للحياة الإنسانية)** [٤٦]، أي أن كل علاقات الإنسان بأي وجود انساني تتقوض.

الخاتمة:

نخلص من خلال دراستنا لرسائل السياب إلى مجموعة من النتائج في النقاط الآتية:

١. زخرفت رسائل السياب من خلال تصويره لحالته عبر الترحل والتنقل، وقد جاء هذا التحدث عن النفس بتسجيل ما تعرض له من فقد وقهر واستلاب.

٢. لم يستطع السياب أن يبتعد عن مكان الأحداث، فكان قريباً وحريصاً في الوقت نفسه على نقل زمن التجربة وهو في حالة من الثقل والمرض بأدق التفاصيل.

٣. أظهرت الرسائل إن الشاعر القروي ابن جيكور لا يعرف سوى البصرة، وعندما انتقل إلى بغداد وجدها عالماً آخر تصطرع بتارات أدبية ومقاهي وصحف ونشاطات فكرية وجرائد حتى عرفته بغداد وأخذ يقتحم قلوب الأدباء بشعره.

٤. عانى السياب من موضوع المرأة كثيراً، وحين جاء إلى بغداد وجدها معه على مقاعد الدراسة؛ فإذا كانت صلته مع المرأة في قريته تقتصر على الرعي، فإنها في بغداد تحفظ شعره وتضع الفتيات العذارى ديوانه تحت مخداتهن.

٥. تكشف الرسائل إن السياب ظلَّ متعباً وأراد أن يجد الراحة ــ راحة جسده ــ المتعب المثقل بالمرض وبقي يحن إلى جيكور فكتب إلى أدونيس (فقد هزّني الشوق إلى جيكور وسواهما من ملاعب الطفولة).

الهوامش:

(١) معجم اللغة، لابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥ هـ) تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ط٢ ، بيروت،١٤٠٦-١٩٨٦ ج/١ :٤٦٩.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر بيروت، ط٣ ،: مادة سلب: ٤٧٢.

(٣) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ٢٠٠٦: ١١.

(٤) التوظيف الشعري في رسائل رشيد الدين الوطواط العربية، أ. م. د رعد عبدالله جامعة تكريت، مجلة آداب الفراهيدي، المجلد (١٥) العدد (٥٥) أيلول ٢٠٢٣ القسم الثاني:٢٠.

(٥) ينظر: التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً:١٩.

(٦) الاستلاب في الرواية العراقية،٢٠٠٠-٢٠١٢، غزوان عطية وردي ،أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، إشراف أ.د بشرى البستاني، ٢٠١٧ :٢٢.

(٧) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٢٨.

(٨) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن،: ٢٨.

(٩) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٢٩.

(١٠) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٦٨.

(١١) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن،: ٦٩.

(١٢) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن،: ٧١.

(١٣) ينظر: الشعر العربي الحديث مرحلة التطور، د. جلال الخياط، مجلة الاسبوع العربي، ع/٦٠٨ ، سنة١٩٧١ :١٥٣.

(١٤) الاستلاب في الرواية العراقية ٢٠٠٠-٢٠١٢، غزوان عطية وردي: ٣٠.

(١٥) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٥٠.

(١٦) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٥٩.

(١٧) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٧٢.

(١٨) الاعمال الشعرية الكاملة، بدر شاكر السياب، دار الحرية للطباعة والنشر، ط٤، بغداد، ٢٠٠٨: ٢٦.

(١٩) فلسفة الاغتراب ، قراءة نقدية منهجية في فلسفة الاغتراب، علي محمد اليوسف، ط ١، الدار العربية للموسوعات بيروت، ٢٠١٣ :٦٩.

(٢٠) الاعمال الشعرية الكاملة، بدر شاكر السياب: ٣٨٢.

(٢١) الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية) صالح بن رمضان، دار الفارابي، ط٢، بيروت ، ٢٠٠٧: ٢٣٧.

(٢٢) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٧٢.

(٢٣) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٧٢.

(٢٤) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ١٠٤.

(٢٥) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ١٠٤.

(٢٦) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ١٠٤.

(٢٧) دائرة الإبداع. مقدمة في أصول النقد، شكري عياد، دار الياس العصرية، القاهرة، ١٩٧٧: ١٢٥.

(٢٨) التوظيف الشعري في رسائل رشيد الدين الوطواط العربية، أ. م. د رعد عبدالله جامعة تكريت، مجلة آداب الفراهيدي، المجلد (١٥) العدد (٥٥) أيلول ٢٠٢٣ القسم الثاني.

(٢٩) الاعمال الشعرية الكاملة، بدر شاكر السياب:١٣.

(٣٠) التوظيف الشعري في رسائل رشيد الدين الوطواط العربية، أ. م. د رعد عبدالله جامعة تكريت، مجلة آداب الفراهيدي، المجلد (١٥) العدد (٥٥) أيلول ٢٠٢٣ القسم الثاني.

(٣١) الاعمال الشعرية الكاملة، بدر شاكر السياب :١٣.

(٣٢) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٧٠.

(٣٣) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٧٦.

(٣٤) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٧٨.

(٣٥) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٨٣.

(٣٦) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٨٣.

(٣٧) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٨٣.

(٣٨) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٩١.

(٣٩) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٩١.

(٤٠) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٩٢.

(٤١) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٩٤.

(٤٢) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ٣٣.

(٤٣) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ١٠٤.

(٤٤) التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ١٠٦.

(٤٥) ينظر: التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن: ١٠٦.

(٤٦) الاغتراب، ريتشارد شاخت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ترجمة كامل يوسف حسين، بيروت، ١٩٨٠ :٢٦٢.

المصادر والمراجع:

الاســتلاب في الرواية العراقية، (٢٠٠٠ - ٢٠١٢) غزوان عطية وردي، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصــل، كلية الآداب، بإشــراف أ. د بشــرى البستاني،٢٠١٧م.

الاعمال الشعرية الكاملة، بدر شاكر السياب، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ط٤ ،٢٠٠٨م.

الاغتراب، ريتشارد شاخت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ترجمة كامل يوسف حسين، بيروت، ١٩٨٠م.

التحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسان كنفاني أنموذجاً، د. حسين سرمك حسن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٦م.

التوظيف الشــعري في رســائل رشــيد الدين الوطواط العربية، أ. م. د رعد عبد الله جامعة تكريت، مجلة آداب الفراهيدي، المجلد (١٥) العدد (٥٥) أيلول ٢٠٢٣ القسم الثاني.

دائرة الإبداع .مقدمة في أصول النقد، شكري عياد، دار الياس العصرية، القاهرة،١٩٧٧م.

الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية) صالح بن رمضان، دار الفارابي، ط٢، بيروت ،٢٠٠٧م.

الشعر العربي الحديث مرحلة التطور، د. جلال الخياط، مجلة الاسبوع العربي، ع/٦٠٨، سنة١٩٧١.

فلسفة الاغتراب، قراءة نقدية منهجية في فلسفة الاغتراب، علي محمد اليوسف، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت ٢٠١٣م.

لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر بيروت، ط٣، مادة سلب.

معجم اللغة، لابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥ هـ) تحقيق: زهير عبد المحســن ســلطان، مؤســســة الرســالة ط٢، بيروت،١٤٠٦-١٩٨٦ ج/١.

Resources and References:

Alienation in the Iraqi Novel, (2000 - 2012) Ghazwan Attiya Wardi, doctoral thesis, University of Mosul, College of Arts, supervised by A. Dr. Bushra Al-Bustani, 2017 AD.

Complete Poetical Works, Badr Shaker Al-Sayyab, Dar Al-Hurriya for Printing and Publishing, Baghdad, 4th edition, 2008 AD.

Alienation, Richard Schacht, Arab Foundation for Studies and Publishing, translated by Kamel Youssef Hussein, Beirut, 1980 AD.

Psychological analysis of correspondence literature, Badr Shaker Al-Sayyab and Ghassan Kanafani as a model, Dr. Hussein Sarmak Hassan, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 1st edition, 2006 AD.

Poetic employment in the Arabic letters of Rashid al-Din al-Watwat, A. M. Dr. Raad Abdullah, Tikrit University, Al-Farahidi Journal of Etiquette, Volume (15), Issue (55), September 2023, Section Two.

Circle of Creativity - Introduction to the Fundamentals of Criticism, Shukri Ayyad, Dar Elias Al-Asriyya, Cairo, 1977 AD.

Literary letters and their role in developing ancient Arabic prose (a poetry reading project) Saleh bin Ramadan, Dar Al-Farabi, 2nd edition, Beirut, 2007 AD.

Modern Arabic poetry, the stage of development, Dr. Jalal Al-Khayyat, Al-Isboa Al-Arabi Magazine, issue 608, 1971.

The Philosophy of Alienation, A Systematic Critical Reading in the Philosophy of Alienation, Ali Muhammad Al-Yousef, Arab House of Encyclopedias, 1st edition, Beirut 2013 AD.

Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin Ali Abu al-Fadl Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari, Dar Sader Beirut, 3rd edition, stolen material.

Dictionary of the Language, by Ibn Faris Ahmad bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi (D: 395 AH), edited by: Zuhair Abdul Mohsen Sultan, Al-Risala Foundation, 2nd edition, Beirut, 1406-1986, vol. 1.